@ 493 @ ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ^ أي : من فضل ربي وكرمه ، حصلت لي السلامة يوم ولادتي ، ويوم بعثي من الشر ، والشيطان والعقوبة ، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال ، ودار الفجار ، وأنه من أهل دار السلام ، فهذه معجزة عظيمة ، وبرهان باهر ، على أنه رسول ا ، وعبد ا حقا . ^ (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * وإن ا ربي وربكم فاعبدوه ه ذا صراط مستقيم) ^ أي : ذلك الموصوف بتلك الصفات ، عيسى بن مريم ، من غير شك ولا مرية ، بل قول الحق ، وكلام ا ، الذي لا أصدق منه قيلا ، ولا أحسن منه حديثا ، فهذا الخبر اليقيني ، عن عيسى عليه السلام ، وما قبل فيه مما يخالف هذا ، فإنه مقطوع ببطلانه ، وغايته أن يكون شكا من قائله لا علم له به ، ولهذا قال : ^ (الذي فيه يمترون) ^ أي : يشكون فيمارون بشكهم ، ويجادلون بخرصهم ، فمن قائل عنه : إنه ا ، أو ابن ا ، أو ثالث ثلاثة ، تعالى ا عن إفكهم وتقولهم ، علوا كبيرا . ف ^ (ما كان أن يتخذ من ولد) ^ أي : ما ينبغي ولا يليق ، لأن ذلك من الأمور المستحيلة ، لأنه الغني الحميد ، المالك لجميع الممالك ، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه ولدا ؟ ^ (سبحانه) ^ أي : تنزه وتقدس عن الولد والنقص . ^ (إذا قضى أمرا) ^ أي : من الأمور الصغار والكبار ، لم يمتنع ، عليه ولم يستصعب ^ (فإنما يقول له كن فيكون) ^ ، فإذا كان قدره ومشيئته نافذا في العالم العلوي والسفلي ، فكيف يكون له ولد ؟ وإذا كان إذا أراد شيئا قال له : ^ (كن ، فيكون) ^ فكيف يستبعد إيجاده عيسى من غير أب ؟ ! ! ولهذا أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره فقال : ^ (وإن ا ربي وربكم) ^ الذي خلقنا ، وصورنا ، ونفذ فينا تدبيره ، وصرفنا تقديره . ^ (فاعبدوه) ^ أي : أخلصوا له العبادة ، واجتهدوا في الإنابة ، وفي هذا ، الإقرار بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، والاستدلال بالأول على الثاني ، ولهذا قال : ^ (هذا صراط مستقيم) ^ أي : طريق معتدل ، موصل إلى ا ، لكونه طريق الرسل وأتباعهم ، وما عدا هذا ، فإنه من طرق الغي والضلال . ^ (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم * أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ل كن الظالمون اليوم في ضلال مبين) ^ لما بين تعالى حال عيسى بن مريم الذي لا يشك فيها ولا يمترى ، أخبر أن الأحزاب ، أي : فرق الضلال ، من اليهود والنصارى وغيرهم ، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى عليه السلام ، فمن غال فيه وجاف . فمنهم من قال : إنه ا ، ومنهم ، من قال : إنه ابن ا . ومنهم من قال : إنه ثالث ثلاثة . ومنهم من لم يجعله رسولا ، بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود . وكل

هؤلاء أقوالهم باطلة ، وآراؤهم فاسدة ، مبنية على الشك والعناد ، والأدلة الفاسدة ، والشبه الكاسدة ، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد ، ولهذا قال : ^ (فويل للذين كفروا) ^ بالله ورسله ، وكتبه . ويدخل فيهم ، اليهود والنصارى ، القائلون بعيسى قول الكفر . ^ (من مشهد يوم عظيم) ^ أي : مشهد يوم القيامة ، الذي يشهده الأولون والآخرون ، أهل السموات ، وأهل الأرض ، الخالق والمخلوق ، الممتلىء بالزلازل والأهوال المشتمل على الجزاء بالأعمال ، فحينئذ يتبين ما كانوا يخفون ويبدون ، وما كانوا يكتمون . ^ (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) ^ أي : ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم ؟ فيقررون بكفرهم وشركهم ، وأقوالهم ويقولون : ^ (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) ^ ففي القيامة ، يستيقنون حقيقة ما هم عليه . ^ (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) ^ وليس لهم عذر في هذا الضلال ، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة ، عارف بالحق ، صادف عنه ، وبين ضال عن طريق الحق ، متمكن من معرفة الحق والصواب ، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله ، غير ساع في معرفة الحق من الباطل ، وتأمل كيف قال : ^ (فويل للذين كفروا) ^ بعد قوله : ^ (فاختلف الأحزاب من بينهم) ^ ، ولم يقل (فويل لهم) ليعود الضمير إلى الأحزاب ، لأن من الأحزاب المختلفين ، طائفة أصابت الصواب ، ووافقت الحق فقالت في عيسى : (إنه عبد الله ورسوله) فآمنوا به ، واتبعوه ، فهؤلاء مؤمنون ، غير داخلين في هذا الوعيد ، فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين . ^ (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون * إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) ^ الإنذار هو : الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب ، والإخبار بصفاته ، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد ، يوم الحسرة حين يقضي الأمر ، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد ، ويسألون عن أعمالهم ، فمن آمن بالله ، واتبع رسله ، سعد سعادة لا يشقى بعدها ، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاء لا يسعد بعدها ، وخسر نفسه وأهله ، فحينئذ يتحسر ويندم ندامة ، تنقطع منها القلوب ، وتتصدع منها الأفئدة ، وأي : حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته ، واستحقاق سخطه والنار ، على وجه لا يتمكن الرجوع ، ليستأنف العمل ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعودة إلى الدنيا ؟ فهذا قدامهم ، والحال أنهم في الدنيا في